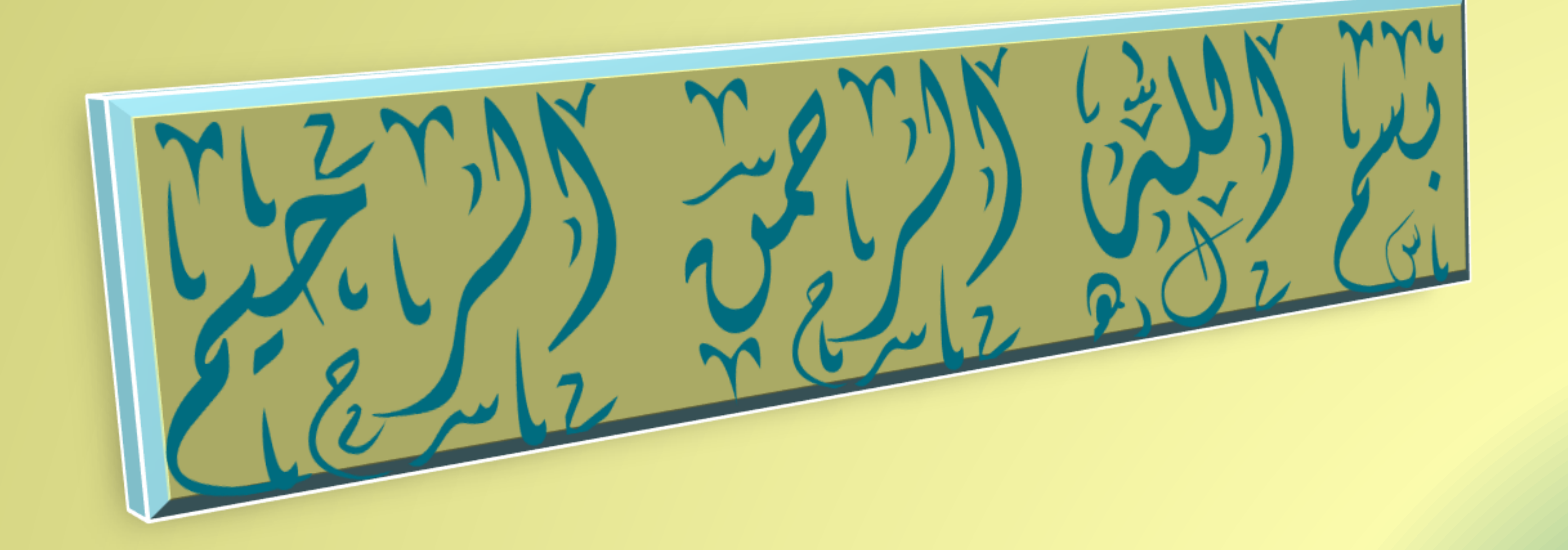


لامية ابن الوردي

الإمام عمر بن الوردي

شرح الشيخ: محمد بباه الشنقيطي

تلخيص الطالبة ريما خالد دهبي


بسم الله الرحمن الرحيم

لامِيَّة ابنِ الوَرْدِيّ

=================

قال عمر بن الوردي رحمه الله تعالى مخاطباً ولده:

* * *

اعْـــتزِلْ ذكْــــر الأَغاني والغَـــزَل وقُـلِ الفَصْـــلَ وجانِـــبْ مَـــنْ هَـــزَلْ

ودعِ الذِّكْـــرى لأيــــامِ الصِّـــبا فلأيَّـــامِ الصِّـــبا نجـــمٌ أفَـــلْ

إنَّ أَهنـــأَ عِيشـــةٍ قَضَّيتُهـــا ذَهبـــتْ لـذَّاتُهـــا وَالإثـــمُ حَـــلْ

واتـــركِ الغَـــادَةَ لا تَحْفَـــلْ بهـــا تُمْـــسِ فـــي عِـــزٍّ رفيـــعٍ وتُجَـــلْ

وافْتَكِـــرْ في مُنْـــتَهى حُسْـــن الَّذي أنـــتَ تَهـــواه تجِـــدْ أَمـــراً جَلَـــل

واهْجُـــرِ الخمـــرةَ إنْ كنـــتَ فَـــتىً كيـــف يَسْـــعى في جنـــونٍ مَـــنْ عَقَـــلْ

وأتـــقِ اللّهَ فتقـــوى اللّهِ مـــا جـــاورتْ قلـــبَ امـــرىءٍ إلا وَصَـــلْ

لـــيس مَـــنْ يَقْطَـــعُ طَرْقـــاً بَطَـــلاً إنمـــا مَـــنْ يـــتقي اللّهَ البطَـــلْ

صَـــدِّقِ الشَّـــرعَ وَلاَ تـــركنْ إلى رَجـــلٍ يَـــرّصِـــدُ فـــي الْلَّيـــل زُحـــلْ

حَارتِ الأَفْكارُ في حِكمةِ مَنْ   قَدْ هَدانا سبْلنا عزَّ وجَلْ

كُتِبَ الموتُ على الخَلْقِ فكمْ   فَلَّ مِنْ جَيْشٍ وأفنى من دُوَلْ

أينَ نمرودُ وكنعانُ ومَن   مَلَكَ الأرضَ ووَلَّى وعَزَلْ

أَينَ عادٌ؟ أَينَ فِرعَونُ وَمَنْ   رَفعَ الأَهَرامَ؟ مِنْ يسمعْ يَخَلْ

أينَ من سادوا وشادوا وبَنَوْا ؟   هَلَكَ الكلُّ ولم تُغْنِ القُلَلْ

أينَ أربابُ الحِجى أهلُ النُّهى؟   أين أهلُ العلمِ والقومُ الأُوَلْ؟

سيُعيدُ اللهُ كُلاً مِنهُمُ   وسَيجزي فَاعِلاً ما قَدْ فَعَلْ

* يا بُنيَّ اسمعْ وَصَايَا جَمَعَتْ   حِكماً خُصَّتْ بهِا خَيرُ المِلَلْ

أطلبِ العِلْمَ ولا تكسَلْ فما   أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكَسَلْ

واحْتَفِلْ للفِقهِ في الدِّين ولا   تَشْتَغِلْ عنهُ بمَالٍ وخَوَلْ

واهجُرِ النّومَ وحَصِّله فَمَن   يَعْرِفِ المطلوبَ يَحْقِر ما بَذَلْ

لا تقلْ قدْ ذَهَبَتْ أربابُه   كلُّ من سار على الدّرْبِ وَصَلْ

في ازْدِيادِ العلمِ إرغامُ العِدَا   وجمالِ العلم إصلاحُ العَمَلْ

جَمِّلِ المَنْطقَ بالنّحوِ فَمَن   يُحْرَمِ الإعرابَ بالنُّطق اخْتَبَلْ

انظمِ الشّعْرِ ولازِم مذهبي   في اطّراحِ الرِّفدِ لاَ تْبغِ النِّحَلْ

فَهْو عنوانُ على الفَضْلِ ومَا   أحَسَنَ الشعرَ إذا لم يُبْتَذَلْ

ماتَ أهلُ الْفَضلِ لم يَبقَ سِوى   مُقرفٍ أَوْ مَنْ عَلَى الأَصْلِ اتَّكلْ

أَنا لا أختارُ تقبيلَ يدٍ   قَطْعُها أجملُ مِنْ تلك القُبَلْ

إن جَزتْني عَنْ مَديحِي صِرتُ في   رقِّها أَوْ لاَ فَيكفِيني الخَجَلْ

أَعذْبُ الأَلْفَاظِ قَولي لَكَ : خُذْ   وَأمَرُّ الْلفظِ نُطقي بِلَعَلّْ

ملكُ كِسْرى عنهُ تُغْني كِسْرةٌ   وعن البحرِ اجْتَزِاءٌ بالوَشَلْ

اعتبرْ "نَحنُ قَسمنّا بَيَنَهُمُ"   تَلقَهُ حَقَّاً وَبِالحْقِ نَزْلْ

لَيسَ مَا يَحْوِي الْفَتى مِنْ عَزمِهِ   لاَ وَلاَ ما فَاتَ يَوماً بِالْكَسَلْ

إْطرحِ الدنُّيا فمِن عَاداتِه   تُخْفِضُ العالي وتُعلي مَنْ سَفَلْ

عيشةُ الرَّاغبِ في تَحصْيلِها عيشةُ الجاهلِ فيها أوْ أَقَلْ

كم جهول باتَ فيها مُكْثرا وعليمٍ باتَ منها في عَلَلْ

كم شُجاعٍ لمَ يَنَلْ فيها المُنَى وجبانٍ نالَ غاياتِ الأَمَلْ

فاتركِ الحِيلَةَ فيها واتَّكِلْ إنما الحِيلةُ في تَرْكِ الحِيَلْ

أَيُّ كَفٍّ لمْ تَنلْ مِنها المُنى فَرْمَاهَا اللهُ مِنهُ بالشَّلَلْ

لا تَقُلْ أَصْلي وفَصْلي أبداً إنما أصْلُ الفتى ما قَدْ حَصَلْ

قد يسودُ المرءُ من دُونِ أبٍ وبُحسْنِ السُّبْكِ قد يُنفي الدَّغَلْ

إنما الوردُ من الشوكِ وما يَنْبُتُ النرجسُ إلا مِنْ بَصَلْ

مَعَ أَني أَحمدُ اللهَ على نَسبي إذْ بِأَبِي بِكَرِ اتَّصلْ

قيمةُ الإنسانِ ما يُحْسنِه أكثرَ الإنسانُ منهِ أم أقَلْ

أُكْتمِ الأَمرينِ فقراً وغِنى وَاكسَب الفَلْسَ وَحَاسِب منْ مطَلْ

وَادَّرِع جِداء وكَداً واجتنبْ صُحبةَ الحمقى وَأَرْبابُ الخَلَلْ

بين تبذيرٍ وبُخْلٍ رتبة وكِلا هذين إنْ زَادَ قَتَلْ

لا تخُضْ في سَبِّ سَاداتٍ مَضَوا إِنهم لَيسُوا بأهْلِ للزَّلَلْ

وَتَغَافلْ عَنْ أُمورٍ إنَّهُ لم يَفُزْ بِالحمدِ إِلاَ مَنْ غَفَلْ

ليس يخلو المرءُ من ضِدٍّ ولو حاولَ العُزْلةَ في رأسِ الجَبَلْ

مِلْ عَنْ النَمَّامِ وازجُرْهُ فَمَا بلَّغَ المْكروهَ إلا مَنْ نَقَلْ

دَارِ جارَ السوءِ بالصّبرِ وإن لم تَجِدْ صَبْراً فما أحْلى النَّقلْ

جانبِ السلطانَ واحذرْ بَطْشَه لا تعانِدْ مَنْ إذا قَال فَعَلْ

لا تَلِ الحُكْمَ وإِنْ هُمْ سَأَلْوا رَغبةً فيكَ وَخَالفْ مَنْ عَذَلْ

إن نِصْفَ النّاس أعداءٌ لمَن وُلّي الأحكامَ هذا إنْ عَدَلْ

فَهْوَ كَالمحَبُوسِ عَنْ لذَّاتهِ وَكِلاَ كفّيهِ في الحْشرِ تُغَلْ

إِنَّ لِلنقصِ والاسَتْثِقالِ في لَفظَةِ الْقَاضِي لَوَعظاً أَوْ مَثَلْ

لاَ تُوازى لَذةُ الحُكمِ بمِا ذَاقَهُ الشَّخصُ إِذْا الشَّخصُ انعزْلْ

فَالْوِلاَيَاتُ وَإِنْ طَابَتْ لمنْ ذاقَها فَالسُّمُّ في ذَاكَ العَسَلْ

نَصَبُ المنصِبِ أَوْهى جَلَدي وَعَنائي مَنْ مُداراةِ السَّفَلْ

قَصِّرِ الآمَالَ في الدُّنيا تَفُزْ فدليلُ العقلِ تقصيُر الأَمَلْ

إِنْ منْ يطلِبهُ المْوتُ عَلى غِرَّةٍ مِنهُ جَديرٌ بِالوَجَلْ

غِبْ وَزُرْ غِبّاً تَزِدْ حُبّا فَمَن أكثرَ التّرْدادَ أقصاهُ المَلَلْ

خُذْ بِنَصْلِ السيفِ واترك غِمْدَه واعتبِرْ فَضْلَ الفتى دُونَ الحُلَلْ

لا يَضُرّ الفَضلَ إقلالٌ كَمَا لا يضرُّ الشمسَ أطباقُ الطَّفَلْ

حُبُّك الأوطانَ عجِزٌ ظاهر فاغتربْ تَلْقَ عن الأهل بَدَلْ

فبِمُكْثِ الماءِ يَبْقَى آسِناً وسُرَى البَدرِ به البدرُ اكتَمَلْ

أيُّها العائِبُ قولي عبَثَاً إنَّ طيبَ الوَردِ مُؤذٍ للجُعَلْ

عَدِّ عن أسهُمِ قولي واستَتِر لا يُصِيبَنَّكَ سَهمٌ من ثُعَلْ

لا يغرَّنَّكَ لينٌ من فتى إنَّ للحيَّاتِ ليناً يُعْتَزَلْ

أنا مثلُ الماءِ سَهْلٌ سائِغٌ ومتى سُخِّنَ آذى وقَتَلْ

أنا كالخيزور صَعبٌ كَسْرُهُ وهو لَدْنٌ كيفَ ما شِئتَ انفتَلْ

غيرَ أنّي في زمانٍ مَنْ يكنْ فيه ذا مَالٍ هو المولَى الأَجَلّ

واجبٌ عند الورى إكرامُه وقليلُ المالِ فيهمْ يُستَقَلْ

كلُّ أهلِ العصرِ غِمْرٌ وأنا مِنهُمُ، فاترك تفاصيلَ الجُمَل

وصلاةُ اللهِ ربِّي كُلَّمَا طَلَعَ الشمسُ نهاراً وأَفَلْ

للذي حازَ العُلَى من هاشمٍ أحمدَ المختارِ من سادَ الأُوَلْ

وعلى آلٍ وصحبٍ سادة ليسَ فيهمْ عاجزٌ إلا بَطَلْ

- **في العصر الجَاهِلي**: كانت كلمة أدب للدعوة إلى الطَّعام، فالآدِبُ هو الداعي إلى الطَّعام

- ثم تطور معناها **في العصر النَّبوي**: كانت كلمة أدب تدل على التخلُّق بالأخلاق الفاضلة والشِّيَم المُثْلَى، ولذلك قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَدَّبَنِي ربي فأَحْسَنَ تَأْدِيبِي". المقصود بالأدب هنا: التخلُّق بأخلاق الحسنة الفاضلة، فهو -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو أحسن الناس خُلُقًا.

- ثم تطور معنى هذه الكلمة **في العصر الأُمَوِي**: فصارت تُطلق على الجانب التعليمي؛ أدَّبَه: بمعنى علَّمَهُ، والمؤدبون جماعة من الناس كانوا يُعلِّمون أبناء الخلفاء وأبناء الأُمراء الشِّعر والحِكَم وأيام العرب والأنساب، ويُفقهونهم في ذلك، فَهُمْ المؤدبون؛ فالأدب في العصر الأموي تُطلَق على التعليم.

فالأدب بعد ذلك صار عَلَمًا على الكلام البليغ المؤثر في النفس، الصادر عن العاطفة، وهو يشمل فَنَّيْن كبيرين، هما: الشِّعْر، والنَّثْر.

الشِّعْر: هو الكلام الموزون المُقفَّى.

النَّثْرُ: هو الكلام البليغ غير الموزون، أي لا يخضع للبحور الشعرية المعروفة، فهو يشمل الخُطَب والحِكَم والأمثَال، وغير ذلك.

«**لامِيَّة ابن الوَرْدِي**» سُمِّيت "لامِيَّة" لأن قافيتها على اللام -الحرف الأخير- وهي من بحر «**الرَّمَل**» وبحر الرَّمَل من أجمل البحور ومن أعذبها

وبحر الرَّمَل وزنه: «فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتُ»

يقولون: لامِيَّة الشِّنْفَري "لامِيَّة" امرؤ القَيْس "بائية" عَلْقَمَة "رائية" عُمر بن أبي ربيعة

وهي نحو سبعٍ وسبعين بيتًا، وهذه القصيدة تأتي في غرض «الحِكَم والوصايا» فالشِّعر له أغراض كثيرة؛ منها:

-**الغَزَل**: ذِكر محاسن النساء.

-**المَدْح**: ذِكر الخِصال الحميدة في شخص ما.

-**الهِجاء**: ذِكر عيوب ومساوئ شخص ما.

-**الفَخْر**: يتمدَّح الإنسان بخِصال الحميدة فيه.

-**الوَصْف**

-**الحِكَم**

ومن الشعراء الذين أبدعوا في بحر الرَّمَل طَرُفَة بن العبد وكذلك امرؤ القَيْس

من **أوائل من أبدع «الحِكَم»**: زُهير بن أبي سُلمَى المُزَني، الشاعر الجاهلي المعروف،

فضَّله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه على غيره من الشعراء

امرؤ القَيْس بن حُجُر الشاعر الكِندي المعروف هو أشعر الشعراء كان يُجالس النساء ويُكثر من حديثهن فطرده

أبوه، وقُتِل أبوه في معركة قتله أعداءه، فلما قتله أعداؤه نهض للأخذ بثأر أبيه فلم يستطع فكان من ذُلٍّ إلى ذُلّ

حتى مات مهمومًا مغمومًا

وكذلك المُهَلْهَل بن ربيعة أخ كُلَيْب كان زير نساء، وكان كُلَيْب يصفه بذلك،

فلما مات كُلَيْب حاول أن يأخذ بثأر أخيه؛ لكنه لم يستطع

وهذه القصيدة، هي للإمام العالم: عُمَر بن مُظَفَّر بن عُمَر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص زين الدين الوَرْدِي ابن الوَرْدِي، وينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– كما يقول في آخر قصيدته هذه.

وعُمَر بن مُظَفَّر وُلِدَ بمعَرَّة النُّعمان سنة ستمائة وإحدى وتسعين، وتُوفِّي بحَلَب سنة سبعمائة وتسع وأربعين، وهو من العلماء والشعراء له ديوان شعري كبير، وله كذلك مؤلفات كبيرة؛ منها: نثر لألفية ابن مالك، والشِّهاب الثاقب، وغير ذلك من الكتب التي ألفها.. فشرحها كثير من العلماء منهم

السيد الشريف مسعود في شرحه "فتح الرحيم الرحمن" وكذلك شرح عبد العزيز بن مرزوق، وكذلك "تفاصيل الجُمَل" شرح الدكتور عبد العزيز علي، وغير ذلك شُرِحَت كثيرًا.

اعــتــزلْ ذكــرَ الأغــاني والــغــزلْ

الأمر باعتزال الأغاني.

: (اعتزلْ). أمر من «اعتزلَ» واعتزلَ الشيءَ: بمعنى ابتعد عنه وتركه.

الأمر باعتزال الغزل

(ذكرَ الأغاني). الأغاني جمع «أُغْنِيَة» وهي الكلام المُطْرِب

(اعتزلْ ذكرَ الـغـواني) والغواني جمع «غَانِية» وهي المرأة الحسناء التي استغنت بجمالها عليها.

(والغزلْ). هو الكلام الرقيق الذي يشتمل على ذكر محاسن النساء.فالغزل هو ذِكر محاسن النساء.

والنسيب هو البكاء على الأطلال وندب الديار

وقُـلِ الفَصْــــلَ وجـانـبْ مَنْ هَزَلْ

الأمر بقول الفصل

(وقُلِ الفَصْلَ). هو القَول الفاصل بين الحق والباطل.

(وجانِبْ). فعل أمر من «جانب الشيء» إذا ابتعد عنه

(مَنْ هَزَلْ). هَزَل أو هَزِلَ فالهَزَل ضد الجِد.

الأمر بترك تذكر أيام الصبا والشباب وما جرى فيها؛ إذ لا فائدة في هذا.

ودَعِ الذِّكرَى لأيامِ الصِّبا

(الصِّبا). أي: الصِّغَر، وحَدَاثة السِّن. والصَّبا-بالفتح-: ريح تَهُب من الشرق.

(ودَعِ الذِّكرَى لأيامِ الصِّبا). أي: اُتْرُك تَذَكُّر أيام حداثة السِّن وأيام الصِّغَر

البيت يشتمل على التأنيب

فلأيامِ الصِّبا نَجمٌ أفَلْ

(نَجمٌ أفَلْ). نجم أفل إذا غاب

إنْ أهنا عيشةٍ قضيتُها

(عيشةٍ). العِيْشَة هي حال الإنسان الذي يعيش فيه.

ذَهبتْ لذَّاتُها والإثمُ حَلّ

(ذَهبتْ لذَّاتُها). أن اللَّذَّة ستنقضي وأن الإثم سيبقى،

الإثم فهو باقٍ سيحاسب عليه الإنسان

واتـرُكِ الـغـادَةَ لا تـحـفـلْ بـهـا

البيت يشتمل على النهي

الغَادَة: المرأة الحسنة، أي اترك مجالسة النساء

(لا تـحـفـلْ بـهـا). لا تبالي بها،

تُـمْـسِ في عِـزٍّ رفـيـعٍ وتُـجَـلّ

أي: مَنْ ترك مجالسة النساء وابتعد عنهن أورثه ذلك عِزًّا وتبجيلًا

(تُمْسِ في عِزٍّ رفيعٍ وتُجَلّ).

ورفعة، والعكس صحيح، فالذين كانوا يجالسون النساء، ويستمعون إلى حديثهن، أورثهم ذلك ذِلًّا وخسارة،

والـهَ عـنْ آلـةِ لـهـوٍ أطـربَـتْ

تشتمل هذه الأبيات الأمر ب:

(والهَ) أي: اترك وتغافل عن آلة اللهو التي أطربت، واللهو هنا هو ما يُلهى به،

. أن اللهو ثمَّة بمعنى الولد أو بمعنى الزوج واللهو هو قريب من اللعب إلا أنه يكون مع المتعة واللَّذة:

والطَّرَب هو ما يحرك في النفس الوجدان، ما يحرِّك الوِجد في النفس،

أما اللهو المحرَّم هو الذي فيه الفجور وفيه الكلام البذيء الذي لا ينبغي، فهذا ينبغي للإنسان أن يبتعد

عنه، ولذلك قال: (والهَ عنْ آلةِ لهوِ أطربَتْ).

وعـنِ الأمـردِ مـرتـجِّ الـكـفـلْ

(وعنِ الأمردِ مرتجِّ الكفلْ). **الأمْرَد**: هو الشاب الذي لا لحية له، **ومُرتَجّ**: أي: من الارتجاج وهو الاهتزاز، **والكَفَل**: هو المؤخرة. أي: ابتعد عن الأمرد الذي يُشبه النساء في مشيتهنَّ.

إن تبدَّى تنْكَسفْ شَمسُ الضُّحى

(إن تبدَّى). أي: إن ظَهَرَ، بَدَا الشيء إذا ظَهَر.

(تنْكَسفْ شَمسُ الضٌّحى). من كسوف الشمس، وهو ذهاب ضوئها.

الشمس في وقت الضحى فإنها تكون في أتم صورتها وأحسنها.

وإذا مَا مَاسَ يُزْرِي بالأسَلْ

(وإذا مَا مَاسَ). المَيْس هو التبختر والميلان، ويُقال: ماس الرجل إذا حلق رأسه بالموسى.

(يُزْرِي). الإزار بالشيء هو التهاون به.

(بالأسَلْ). هو الرماح، والأسل في الأصل نَبتٌ ولكن استُعِير للرماح؛ لأنها تشبهه في الاعتدال والطول والاستواء.

زادَ إنْ قِسْــــناهُ بـالـبَـدِرِ سَــــنًـا

(زادَ إنْ قِسْناهُ). قسناه من القياس، وهو التقدير، يُقال: قاس الشيء إذا قدَّره، ومنه القياس الفقهي المعروف، والمقصود هنا: شبَّهناه

(بالبَدِرِ). البدر هو القمر عند تمامه.

(سَنًا). السَّنا -بالقصر- هو الضياء والسَّناء -بالمد- الرِّفعة.

أو عَـدَلْـنَـاهُ بـغُـصْــــنٍ فـاعْـتَـدَلْ

(أو عَدَلْنَاهُ). أي: سوِّيناه، فالعِدْل هو المساوي، وإذا عدلته بالغًصن، فهو أشد اعتدالًا منه،

فهو يعني أنه يفوق البدر حسنًا، ويفوق الغصن قوامًا واعتدالًا،

وافتكرْ في منتهى حُســـنِ الـذي

(وافتكرْ). هو «افتعل» من الفكر، وهو إعمال الخاطر في الشيء، ويقولون: "الفكر هو إعمال النفس بالمعقولات، وأما إعمالها بالمحسوسات فيسمَّى تخيلًا"

(في منتهى حُسنِ الذي أنتَ تهواهُ). أي: أنك ينبغي أن تعيد النظر إلى نهاية كل شيء فسترى أنها نهاية سيئة

تشتمل هذه الأبيات على التذكير ب :

أنــتَ تـهـواهُ تـجـدْ أمـراً جَـلَـلْ

(تجدْ أمراً جَلَلْ). فالإنسان إذا نظر في منتهى الأشياء التي يُحبها فسيرى أمرًا جللًا، والجَلَل من الكلمات التي تُستعْمَل في الضد، تستعمل في الحقير وتستعمل للعظيم، أي تجده.

واهجُرِ الخَمْرةَ إنْ كنتَ فتىً

يشتمل البيت على الأمر وهو:

(واهجُرِ). فعل أمر من هَجَرَ، والهَجْر هو التَّرك بالكُلِّيَّة.

(واهجُرِ الخَمْرةَ). أي: اترك الخَمْرة، والخَمْرة هي لغة في الخَمْر، والخَمْرة معروفة ومعاقرتها من أعظم الذنوب؛ لأنها تفسد العقل.

كيفَ يسعى في جُنونٍ مَنْ عَقَلْ

أي: أن مَنْ شَرِب الخَمْر غاب عقله، فكيف يسعى الإنسان إلى أن يغيب عقله، هذا لا يمكن أن يسعى فيه أحد.

من الشعراء الذين عاقروا الخَمْر وتمكّنت من عقولهم. الأعشى ميمون صَنَّاجة العرب المعروف.
فقد كان شاعرًا من أبلغ الشعراء بل قيل إنه أشعر الشعراء إذا شَرِب الخَمْر.

فأعطوه مائة ناقة ورجع عن. الإسلام بعد أن كرَّهوا إليه الإسلام بأنه يُحرِّم الخَمْر.

واتَّقِ اللهَ فتَقْوى الله مَا جَاورتْ

يشتمل البيت على موعظة جليلة وهي:

أوصى بتقوى الله، والتقوى قال أهل العلم: "هو امتثال الأوامر واجتناب النواهي". وهو معيار الفضلية في هذه الأمَّة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

فالتقوى هو طاعة الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- وتصديق رسله فيما جاؤوا به من عند الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى-

قَلبَ امرىءٍ إلا وَصَلْ

(مَا جَاورتْ قَلبَ امريءٍ إلا وَصَلْ). التَّقوى لا يجاور، والمجاورة معروفة، أي أنه لا يحُل بقلب امرئ إلا وصل إلى مبتغاه.

فالتقوى وسيلة للرزق ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وهو وسيلة للعِلْم ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

فمَنْ اتَّقى الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- جعل له فُرقانًا يُفرِّق فيه بين الحق والباطل.

﴿إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩].

لـيـسَ مَـنْ يـقـطـعُ طُـرقـًا بَـطـلاً

يشتمل البيت على تحرير مفهوم البطل:

(البَطَلْ). هو الشجاع. قال: إن الذي يقطع المفاوز والمهامه ليس هو البطل بالمعيار الإسلامي،

(ليسَ مَنْ يقطعُ طُرقًا). طُرُقًا جمع طريق.

فالبطل هو الذي أنار الله له عقله وميَّز بين الحق والباطل، وبين الصحيح والسقيم، وبين الغثّ والسمين،

فالعاصي يجعل الله على قلبه غِشاوة،

إنـمـا مَـنْ يـتَّـقـي الله الـبَـطَـلْ

ليس الذي يقطع المفاز ويقطع الطّرق ويتصدى للمهالك وحده ليس ذلك هو

البطل، فهذه يفعلها الكثير من الناس؛ لكن البطل الحقيقي هو الذي يتَّقي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ويمتثل أوامره

ويجتنب نواهيه.

صَـــدِّقِ الشَّـــرعَ ولا تَـرْكَـنْ إلـى

يشتمل البيت على أمر ونهي وهما :

(صَدِّقِ). فعل أمر من صدَّقَه تصديقًا، وهو ضد التكذيب، أي أنك تؤمن وتصدق بما جاء به الشرع، فالمؤمن هو الذي يؤمن بالغيب، فكل ما جاء به الشرع هو حق وعليك أن تصدقه، فالتزم ما قاله الشرع.

(ولا تَرْكَنْ). أي: تميل، ركَنَ إلى الشيء: مال ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]. أي: لا تميلوا إليه.

رجـلٍ يَـرصُـــد في الـلـيـل زُحـلْ

(يَرصُد). أي: يَرْقُب.

(زُحلْ). هو أحد الكواكب السبعة المعروفة التي هي القمر والزهرة والشمس وعطارد والمشتري والمريخ وزُحَل:

ونحن مطالبون بالأخذ بما قاله الشرع، ونترك ما قاله المُنجِّمين.

ووقف هنا على (زُحلْ). وقفة ربيعة، فكان الوقف غير ربيعة أن يقول: «ولا تركن إلى رجل يرصد بالليل زُحَلَ». فزُحَل هي مفعول به ليرصد؛ لكن هو وقف عليها وقف ربيعة فحذف الألف وسكَّن اللام، وهي لغة عربية مسموعة، ليست لغة القرآن ولا لغة أهل الحجاز التي نزل القرآن بها؛ ولكنها هي لغة عربية مسموعة.

حَـارتِ الأفـكـارُ في حِـكـمـةِ مَـنْ

يشتمل البيت على تسبيح لله عز وجلّ بنعمة الهداية:

(حَارتِ). أي: تحيَّرت، والحيرة هي توقف الفكر، فلا يستطيع العقل أن يحكم ولا أن يميز بين شيئين

(الأفكارُ). جمع: فكر، والفكر هو حركة النفس بالمعقولات، تسمَّى: فكرًا، أن تجول نفسك في أمور العقل، وأما حركة النفس في المحسوسات تسمَّى: تخيُّلًا.

قـد هـدانـا سُـــبْـلـنـا عـزَّ وجَـلْ

(سُبْلنا). بسكون الباء، هي لغة مسموعة في «سُبُلنا»، وهي جمع: سبيل، والسبيل يُذكَّر ويؤنَّث؛

مؤنث: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]. ويُذَكَّر: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٦].

يشتمل البيت على تسبيح لله عز وجلّ بسلطانه وحكمه:

كُتِبَ المَوت عَلَى الخَلقِ فكَمْ

كُتِبَ المَوت عَلَى الخَلقِ فكَمْ . لأن الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- كتب الموت على جميع المخلوقات ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

فَلَّ مِن جيشٍ وأفْنَى مِن دُوَلْ

(فَلَّ). "السيف المفلول" هو الذي به ثَلَم منْ قِراعِ الكتائبِ.

فكَمْ فَلَّ الموت من جيش، أي: جعل فيه ثَلَم، وكَمْ أفنى من دول، أي: صيره إلى فناه.

دُوَل جمع دولة

يشتمل البيت على تسبيح لله عز وجلّ بقدرته على المتكبرين:

أيــنَ نُــمــرودُ وَكَــنْــعَــانُ وَمَــنْ

(أينَ نُمرودُ). رُويَ بالدال المهملة «نمرودٌ»، وروِيَ كذلك المعجمة «نمروذٌ» وهو ابن كنعان،

(وَكَنْعَانُ). كنعان هو أبو النمرود هذا، وهو كذلك من ملوك الدنيا من الذين ملكوا.

مَــلَــكَ الأرضَ وَولَّــى وَعَــزَلْ

(وَمَنْ مَلَكَ الأرضَ). أي: الذين غطَّى ملكهم جميع الأرض، ويقول المؤرخون إن الأرض

ملكها أربعة مسلمان وكافران؛ أما المسلمان اللذان ملكاها فهما سليمان بن داودعليهما السلام فقد ملكا الأرض كلها.

الثاني من المؤمنين هو ذو القرنين. أما الكافران شداد بن عاد ملك شرق الأرض وغربها والثاني النمرود

(وَولَّى وَعَزَلْ). أي: أين الذين ملكوا الأرض جميعًا فكانوا يولُّون الناس ويعزلونهم

يشتمل البيت على تسبيح لله عز وجلّ بقدرته على المتكبرين:

أَيْـنَ عَـادٌ أَيْـنَ فِـرْعَـونُ وَمَـنْ

(أَيْنَ عَادٌ). عاد، قيل هو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وعاد هؤلاء من أشد القبائل قوة.

ولذلك الله –سُبْحَانَه وَتَعَالَى– قال: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

(أَيْنَ فِرْعَونُ). فرعون هو صاحب موسى الذي ملك مصر والذي ادَّعى الألوهية، قال لأصحابه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

ففرعون الذي طغى وتجبَّر وادَّعى الألوهية لم يبقَ إلا ذكره وأخباره كما قصَّ علينا القرآن الكريم.

رفـعَ الأهـرامَ مَـنْ يَسْـــمَـعْ يَخَـلْ

(وَمَنْ رفعَ الأهرامَ). كذلك أين مَنْ رفع الأهرام، والأهرام هي أهرام الجيزة بمصر من عجائب الدنيا؛

فالذين رفعوا كذلك هلكوا ولم يبقَ منهم باقٍ. بناها سِنان بن مهلهل من العمالقة،

قيل إنها بُنِيَت قبل الميلاد بأكثر من ألفي سنة،

(مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ). أي: مَنْ استمع إلى شيء ظن أنه حقًّا، -يخال: يظن- مسموعه حقًّا.

يشتمل البيت على تسبيح لله عز وجلّ بقدرته على المتكبرين:

أَيْنَ مَنْ سَـــادُوا وَشَـــادُوا وَبَنَـوا

(أَيْنَ مَنْ سَادُوا). الأسياد، ساد القوم إذا كان رئيسهم والمتقدم فيه، ولذلك رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو سيد ولد آدم،

فالسيِّد، أي: ساد القوم يسودهم إذا تقدَّمهم، وكان أفضلهم حسبًا ورأيًا.

(أَيْنَ مَنْ سَادُوا). أين الذين تقدَّموا قومهم وسادوه.

(وَشَادُوا). شاد الشيء، أي: رفعه، وبناه بالشيد، والشيد هو الجص،

لذلك الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- يقول: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]. شاد البنيان إذا طلاه بالشيد..

هَلَـــكَ الكـــلُّ ولـــم تُغـــنِ القُلَـــلْ

(هَلَكَ الكلُّ). أي: الذين شادوا وبنوا العمارات والقصور هلكوا ولم يبقَ لهم ذِكر.

(ولم تُغنِ القُلَلْ). القُلَل جمع: قُلَّة، وهي أعلى القصور

وهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

يشتمل هذا البيت على التذكير ب:

أيـنَ أرْبَـابُ الـحِـجَـى أهْـلُ الـنُّـهَـى

(أينَ أرْبَابُ الحِجَى). الحِجَى، أي: العقول، وكذلك النُّهى.وذلك في الحديث: "لِيَلِنِي منكم أولو الأحلام والنُّهى".

أي: أين أصحاب العقول الذين بلغوا من العقل الغاية القُصوى.

أيـنَ أهـلُ الـعـلـمِ والـقـومُ الأُوَلْ

(أينَ أهلُ العلمِ والقومُ الأُوَلْ). هذا كله لم يبقَ إلا ذكره،

هؤلاء كلهم ماتوا صالحهم وفاسدهم، فالذين ادَّعوا الألوهية كالنمرود وكفرعون، وكذلك الذين

سادوا وشادوا وبنوا كل ذلك مات، والله –سُبْحَانَه وَتَعَالَى– سيحييهم يوم البعث.

يشتمل هذا البيت على التذكير ب:

سـيُـعـيـدُ الله كـلاً مـنـهـمُ

سـيُـعـيـدُ الله كـلاً مـنـهـمُ الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- سيبعثهم يوم القيامة

وسـيَـجزي فـاعـلاً مـا قـد فَـعَـلْ

وسـيَـجزي فـاعلاً مـا قـد فَـعَـلْ، كل نفس بعملها، فالذين طغوا وتجبَّروا

سيُجازيهم على طُغيانهم وتجبُّرهم، والذين آمنوا واتَّقوا سيُجازيهم كذلك على عملهم.

يشتمل هذا البيت على التنبيه ب:

أيْ بُنيَّ اسْـــمعْ وَصَـــايا جَمعـتْ

: (أيْ بُنيَّ). بُنَي تصغير «ابن» وهذا التصغير دال على التحبب، والتصغير أصلًا يكون للتحقير

لكن التصغير في اللغة العربية يرد تارةً للتعظيم، ويَرد تارةً للتحبب

: (اسْمعْ وَصَايا). وصايا جمع: وصية، والوصية هي ما يوصي به المُشفِق على المُشفَق عليه.

الله –سُبْحَانَه وَتَعَالَىَ– وهو شفيق بعباده رحيم بعباده وصَّى بكثير من الوصايا. ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾ [النساء: ١٣١]. ورسول الله –صلى الله عليه سلم– وصَّى أصحابه

حِكمـًا خُصَّـــتْ بهـا خيرُ المِلـلْ

(حِكمًا). جمع: حِكمة، والحِكْمَة، يقول الله –سُبْحَانَه وَتَعَالَىَ– في شأنها:

﴿يُؤْتِي الحِكْمَة مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَة فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال مُجاهد: "**الحِكْمَة**: الإصابة في القول والفِكر". وقال غيره: "**الحِكْمَة**: العقل في الدين". وقال مالك بن أنس –
رحمه الله–: "**الحِكْمَة**: معرفة خبر الله، والفقه فيه والاتباع له". فهو يرى أن الحِكْمَة تتألف من أمرين:

أولًا: من العلم بأوامر الله –سُبْحَانَه وَتَعَالَىَ–. **ثانيًا**: العمل بأوامر الله –سُبْحَانَه وَتَعَالَىَ–.

رحمه الله–: "**الحِكْمَة**: معرفة خبر الله، والفقه فيه والاتباع له". فهو يرى أن الحِكْمَة تتألف من أمرين:

قال بعضهم: الحِكْمَة هي العلم المقرون بالعمل" ، وردت الحِكْمَة في القرآن الكريم

ومعناها النبوة، كما قال تعالى في شأن داود –عليه السلام–: ﴿وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَة وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

(خُصَّتْ بها خيرُ المِللْ). أي: كانت خاصة بها هذه الأمَّة التي هي خير المِلَل، والمِلَل جمع:

مِلَّة وهي الطريق، كما قال تعالى: ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣].

يشتمل هذا البيت على أول النصائح وهي:

أطلـبُ العِـلـمَ ولا تـكْـسَـــلْ فـمـا

أول هذه الوصايا: أوصاه بطلب العلم (أطلبُ العِلمَ). وطلب العلم هو أفضل ما يسعَى المسلم في تحصيله.

ولذلك الإمام مالك -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- سُئِل عما بقي من عمره إلا ساعة ماذا يعمل؟ قال: "يتعلم العلم. قيل: إنه لا يعمل به، قال: علمه أفضل من العمل به".

وقوله: (ولا تكْسَلْ). آفة طلب العلم الكسل، والكسل من أخطر الأمراض التي تُصيب الإنسان،

ولذلك تعوَّذ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ".

والكسل من أشد الأدْواء التي تُصيب الإنسان، ولا يتولد عنه إلا الفقر والندامة،

أبعـدَ الـخيرَ عَـلى أهـلِ الـكَـسَــلْ

(فما أبعدَ الخيرَ عَلى أهل الكَسَلْ). الكُسالى يبعد منهم الخير هذا معروف، والذي يُشمِّر عن ساعده الجِد، ويأخذ الأمور بعزم وبقوة هو الذي ينال السعادة في الدنيا، وينال السعادة في الآخرة، فلا بد لطالب العلم أن يتجرَّع مرارة الاستماع والطلب حتى ينال حظَّه من العلم.

قال بعض أهل الأدب إن الإنسان بعد بلوغه يشتغل بثلاث :طلب العلم ،طلب المال وطلب النساء .
فإن بدأ بطلب العلم نال العلن والمال والنساء ،وإن بدأ بطلب المال فقد العلم والنساء وإن بدأ بطلب النساء فقد العلم والمال والنساء

واحتفلْ للفقهِ في الدِّيْن ولا

يشتمل هذا البيت على التأكيد على النصيحة الأولى وهي:

قوله: (احتفلْ). أي: اهتمَّ بالتفقه في الدين؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ". وقال في الدعاء لابن عمه عبد الله بن عباس: "اللهم فقِّههُ في الدينِ، وعلِّمْهُ التأويلَ".

-**الفقه في اللغة**: هو الفَهْم، ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١].

-**الفقه في الاصطلاح**: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من الأدلة التفصيلية.

والمقصود هنا بالفقه في الدين أن يتعلم علوم الشريعة كلها من فقه ومن أصول ومن تفسير ومن حديث ومن قرآن وغير ذلك، والفقه هو أفضل العلوم وهو فهم الدين.

تشْتَغلْ عنهُ بمالٍ وخَوَلْ

(ولا تشْتَغلْ عنهُ بمالٍ وخَوَلْ). أي: اهتمَّ بعلم الفقه ولا تشتغل عنه بالمال، فتحصيل العلم أولى من تحصيل المال.

(وخَوَلْ). الخَوَل هو الحَشَم والخَدَم، أي اشتغل بتحصيل العلم ولا تهتم بتحصيل المال

يشتمل هذا البيت على إحدى وسائل طلب العلم:

واهـجـرِ الـنَّـومَ وحصِّــــلـهُ فـمَـنْ

(واهجرِ النَّومَ). الخَوَل هو من الوصايا بعد الاهتمام بطلب العلم وبعد نبذ الكسل هُجران النوم،

النوم معروف هو الموتة الصغرى وهو راحة للأبدان قليله يُضر وكثيره يُضر وخير الأمور الوسط، ما زاد منه

(وحصِّلهُ). أي: حصِّل العلم.

الإمام الغزالي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- يقول: "وفي كثرة النوم: ضياع العمر، وفوت التهجد، وبلادة الطَّبع، وقساوة القلب، والعُمر أنفس الجواهر، وهو رأس مال العبد فيه يتَّجِر، والنوم موت، فكثيره يُنقص العُمر".

يعرفِ المطلوبَ يحقرْ مـا بَـذَلْ

(فمَنْ يعرفِ المطلوبَ يحقرْ ما بَذَلْ). مَنْ عرف الهدف هان عليه مَا عرف عظمة الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه وإلى تحصيله هان عليه ما يلقى دون ذلك من متاعب، مَنْ عرف أن الهدف هو أن يدخل الجنَّة وأن يرضى عنه الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَىَ- هان عليه ما دون ذلك، وكذلك صحابة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هان عليهم ما دون دخول الجنة حتى حُزَّت الرؤوس عن رقابها، فمَنْ يعرف المطلوب يحقر ما بذل.

يشتمل هذا البيت على تحذير وهو:

لا تـقـلْ قـد ذَهَـبـتْ أربـابُـهُ

(لا تقلْ قد ذَهَبتْ أربابُهُ). لا تقل قد ذهب أهل العلم ولا يمكن للإنسان أن يتعلم؛

كلُّ مَنْ ســارَ على الدَّربِ وصــلْ

(كلُّ مَنْ سارَ على الدَّربِ وصلْ). أي: سِر على طريق العلم وستصل، الدرب أصلًا ليست من

كلام العرب، وإنما هي مُعرَّبة وهو الحدود.

يشتمل هذا البيت على فائدة تحصيل العلم :

في ازديـادِ الـعـلـمِ إرغـامُ الـعِـدَى

(في ازديادِ العلم إرغامُ العِدَى). مَنْ أراد أن يُرغِم أعداءه فعليه أن يتعلَّم، فإن مَنْ تعلَّم ازدادت

قوته وازدادت حكمته ورَغِمَ أعداءه

وجـمـالُ الـعـلـمِ إصـــلاحُ الـعـمـلْ

فمَنْ سأل الله العلم فليسأله معه العمل بما عَلِم، ولذلك مما يُسأل عنه العبد يوم القيامة هو عن علمه ماذا عَمِل به.

(وجمالُ العلم إصلاحُ العملْ). جمال العلم يكون بالعمل، العلم بغير عمل لا فائدة فيه،

ولذلك يكون حُجَّة على صاحبه، في الحديث: "والقُرْآنُ حُجَّةٌ لكَ أو علَيْكَ"

يشتمل هذا البيت على النصيحة الثانية:

جَمِّلِ المَنطِقَ بالنَّحو فمَنْ

(جَمِّلِ). أي: حسِّن.

(المَنطِقَ). أي: النطق. أي حسِّن كلامك بالنحو.

النحو في اللغة: ترد لكثير من المعاني، وأوصلها البعض إلى خمسة معانٍ:

القصد: نحا الشيء، بمعنى: قصده. **المقدار**: نحو الشيء: مقدار **المِثْل**: نحو الشيء: مثله.

الجهة: نحو الشيء: جهته. **البعض**: نحو الشيء: بعضه.

النحو في الاصطلاح: هو علم يُستنبط من استقراء كلام العرب، يُعرف به آواخر الكلم إعرابًا وبناءً،

-**أما فائدته**: معرفة صواب الكلام من خطأه.

الغاية منه: هي الاستعانة على فهم كلام الله وكلام رسوله، والاحتراز عن الخطأ في الكلام.

يُحرَمِ الإعرابَ بالنُّطقِ اختبلْ

فمَنْ حُرِم الإعراب والإفصاح في نطقه تحيَّر وتجمجم، بل إنه قد يُغيِّر المعنى بسبب تغيُّر الإعراب،

أي: إذا أراد أن يتكلَّم ارتج واختبل؛ أي: أصابه خبال، وهو الحيرة التي تُفسد عليه الإصابة بالقول في القوم.

يشتمل هذا البيت على النصيحة الثالثة:

انظُمِ الشِّعْرَ ولازمْ مَذْهَبِيْ

(انظُمِ الشِّعْر). يحض الناظم على تعلم الشِّعْر، وعلى الاهتمام به

الشِّعْر: هو الكلام الموزون المُقفَّى، وهو ديوان العرب، وهو الذي كانوا يُسَجِّلون به أيامهم ومواقعهم وانتصاراتهم، وكان الشِّعْر في العصر الجاهلي هو الوسيلة الإعلامية الوحيدة.

(انظُمِ الشِّعْر ولازمْ مَذْهَبِيْ). أي: تعلَّق بطريقتي وبقصدي في الشِّعْر، فهو كان لا يقول منه إلا ما أباحه الشرع، الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَىَ- ذمَّ الشِّعْراء واستثنى، قال في سورة الشِّعْراء:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾ [الشِّعْراء: ٢٢٤-٢٢٧].

فاطَّراحِ الرِّفْدِ فِي الدُّنْيَا أقَلْ

(فاطِّراحِ الرِّفْدِ فِي الدُّنْيَا أَقَلْ). اطِّراح بمعنى ترك، والرفد هو العطاء، ففي الدنيا أقل.

، فالشاعر الذي يتملَّق من شعره والذي يسأل بشعره هو يُعطي شيئًا عظيمًا مقابل شيء تافه،

فَهوَ عِنْوَانٌ على الفضـــلِ وما

أَحْسِـــنَ الشِّـــعْر إذَا لَـم يُبْـتَـذَلْ

يشتمل هذا البيت على النصيحة الثالثة:

(فَهوَ عِنْوَانٌ على الفضلِ). فالشِّعْر عنوان على الفضل،

الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- استنشده وسمعه وأثاب عليه، طلب من الشِّعْراء أن يُنشدوا الشِّعْر.

كان يقول لحسَّان بن ثابت: "اهْجُهُمْ ورُوح القُدُسِ معك". وهذا جهاد، فحسَّان كان يُجاهد بلسانه،

وكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يأمر بقول الشِّعْر بأن يهجو قريشًا، وكذلك

سَمِع كعب بن زُهير في المسجد النبوي، وأنشده قصيدته

فخلع -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بردة كانت عليه بأبيه وأمه وخلعها على كعب بن زُهير، اشتراها أمير

المؤمنين مُعاوية بن أبي سُفيان -رَضِيَ الله عَنْهُ- وقيل إنها ما زالت إلى اليوم في بعض المتاحف.

يشتمل هذا البيت رثاء زمن الفضلاء :

ماتَ أهلُ الفضـــلِ لم يبقَ سِـــوَى

أي: أن أهل الفضل ماتوا فلم يبق إلا نوعان من الناس:

مُقْرِفٍ أو مَنْ عَلَى الأَصْـــلِ اتَّكَـلْ

المُقرِف وهو الرذيل، دنيء الهِمَّة، ضعيف العزيمة. أو مَنْ اتَّكل على الأصل على فضل آبائهم فيقول آبائي كانوا كذا وكذا.

أَنَـا لَا أَخْـتَـارُ تَـقْـبِـيْـلَ يَـدٍ

هذا البيت يعلل قوله السابق :

أي: لا يختار ولا يحب تقبيل يد شخص

قَطْعُهَا أَجْمَـلُ مِنْ تِلْـكَ القُبَـلْ

أولى بقطع يده من تقبيلها، فالذي يمدح الظلمة الفسقة وهم أولى بالهجو وأولى بقطع اليد من تقبيلها فهذا فعله لا شك قبيح.

هذا البيت يعلل قوله السابق :

إن جَزَتْنِي عَنْ مَدِيْحِي صِــرْتُ فِي

(إن جَزَتْنِي). أي: إن أعطتني منحة على مدحها صار رِقًّا لها؛

رِقِّـهَـا أَوْ لا فَـيَـكْـفِـيْـنِـي الـخَـجَـلْ

لأن السائل رِق للمسؤول، وإذا لم يُجازَ على مدحه فيكفيه الخَجَل وهو الحياء، فقد مدح ولم يرَ شيئًا مقابل مدحه

فهو في البيتين يُرسِّخ قاعدة مهمة :

وهي الابتعاد عن الظلمة، والابتعاد عن أسافلة الناس الذين هم أولى بقطع اليد من تقبيلها وعدم سؤالهم

وعدم مدحهم. ولذلك في الحديث: "إذا سأَلتَ فاسألِ اللهَ".

. وفي الحديث: "ازهدْ في الدنيا يُحبُّك اللهُ، وازهدْ فيما عندَ الناس يُحبُّك الناسُ".

لذلك الحسن البصري -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- يقول: "لا يزال الرجل كريمًا عند الناس حتى يطمع في دنياه،

فالإنسان عليه أن يبتعد عن الطمع في الناس وعن سؤالهم حتى يحبوه ويقدروه.

فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه".

يشتمل هذا البيت على مدح:

أعـذبُ الألـفـاظِ قَـولـي لـكَ خُـذْ

(أعذبُ الألفاظِ قَولي لكَ خُذْ). أي: أن أعذب لفظ وأحلى لفظ في الفم هو أن يقول الشخص:

«خُذْ»، أي: أن تكون أنت المُعْطِي، أن تكون يدك هي اليد العُليا.

وأمَـرُّ الـلـفـظِ نُـطـقـي بِـلَـعَـلْ

(وأمَرُّ اللفظِ). أي: وأمرُّ لفظ يخرج من الفم هو استجداء الغير ورجاء ما في عند الغير

فهذا من أمرِّ الألفاظ إذًا هو في هذا يُبيِّن أن أجمل ما ينطق به الإنسان هو أن تكون يده يد عُليا.

ورسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حضَّنا على الزهد في الدنيا وعلى الاستغناء بها بالقليل يفنى.

يشتمل هذا البيت على مدح:

مُلكُ كِسْــرَى عنهُ تُغني كِسْــرةٌ

(كِسْرَى). هو عظيم فارس، كُل عظيم من عُظماء الفُرس يُسمَّى «كِسْرَى»، كما أن كل عظيم من عظماء الأُمَّة يُسمى «قَيْصَرا»، وكل عظيم من عظماء الحَبَشة يُسمى «النَّجاشي».

والأكاسرة في صفة العامة من أعظم ملوك الدنيا، فَهُمْ دوَّخوا الأرض وغلبوا الروم في كثير من السنوات،

ولذلك الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- يقول: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٣].

(مُلكُ كِسْرَى عنهُ تُغني كِسْرةٌ). أي: أن الكثير من الدنيا يُغني عنه القليل، والكِسْرة هي قطعة الخُبز

وعـنِ الـبـحـرِ اجـتـزاءٌ بـالـوَشَــلْ

و(اجتزاءٌ). هو الاكتفاء، أي: أن ماء البحر يُمكن للإنسان أن يستغني عنه بالوَشَل -بالماء القليل الذي يتقاطر

(بالوَشَلْ). وهو الماء القليل، يُقال: وَشَلَ المطر، إذا قلَّ وانقطع

يشتمل هذا البيت على استدلال على قول السابق:

اغْـتَـبِـر نَـحْـنُ قَـسَـــمْـنَـا بَـيْـنَـهُـمُ

: (اغْتَبِر). أي: خُذ العِبرة وتأمل، فهو يريد منك أن تتأمَّل الآية الكريمة ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

لا يمكن للإنسان أن يأخذ أكثر من رزقه، ولا يمكن أن يبقى من رزقه شيء إلا وصل إليه.

، الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَىَ- أخبر عن الرِّزْق بصيغة الماضي قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]

تَـلْـقَـهُ حَـقًّـا وَبِـالْـحَـقِّ نَـزَلْ

فعندما تتأمل وتتبع هذه الآية ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢]. تلقه حقًّا وبالحق نزل.

يشتمل هذا البيت على إظهار الإفتقار إلى الله تعالى :

لَيْسَ مَا يَحْوِي الفَتَى مِنْ عَزْمِهِ

-أي ما احتوى عليه- ليس من عزمه، وإنما هو قِسْمة من الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى-

فالرِّزْق لا يُنال بالحيلة ولا يُنال بالعزم ولا بالجِد، وإنما هو قِسْمة من الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى-

الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- عاب على قارون .هو كذب، ولذلك كان عقابه ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

لا وَلا مَا فَاتَ يَوْمًا بِالكَسَلْ

فما لم يقسم الله لعبده من الرِّزْق لا يناله بالقوة والعزم ولو اجتهد غاية الاجتهاد، وما قسمه له، لا يفوته وإن تكاسل،

فترك الأسباب سوء أدب مع الله، والاعتماد على الأسباب نوع من الشرك، فالمطلوب أن نأخذ بالأسباب وألا نعتمد عليها، إنما الاعتماد على الله -جَلَّ جَلَالُه-.

يشتمل هذا البيت على الحث على ترك الدنيا:

اطْـرحِ الـدُّنْـيَـا فَـمَـنْ عَـادَتِـهـا

(اطْرحِ الدُّنْيَا). أي: اتركها، فإن من عادتها أنها تخفض العالي وتُعلي الأسافل.

فالذي يخفض هو الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- والذي يرفع هو الله

تَخْفِضُ العَـالِيْ وَتُعْلِي مَنْ سَــفَـلْ

-سُبْحَانَه وَتَعَالَى- ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. ونسبة الخفض والرفع إنما هي عن طريق المجاز.

والله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- شاءت أقداره أن مَنْ ترك الدنيا واهتم بشأن الآخرة يرفعه، ومَنْ تعلَّق بالدنيا

وكانت هي مبلغ علمه، وهي منتهى علمه كتب عليه الخفض والبذل وفي الأثر: "الدنيا سجن المؤمن، وجنَّة الكافر"

عيشـــةُ الزَّاهِد في تحصـــيلِها

عيشـــةُ الجاهِـــد بَـــلْ هَـــذَا أذَلْ

يشتمل هذا البيت على تسرية المؤمنين:

أي: أن عيشة الزاهد في الدنيا وعيشة الجاهد فيها سواء، فكلٌّ ينال حظَّه ونصيبه منها، بل إن الجاهد فيها أذلُّ من الزاهد، فهو أذل عند الناس؛ لأنه ،وهو كذلك أذلّ عند الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- لأنه اشتغل بالدنيا عن الآخرة، ومع ذلك تبقى عيشة الجاهد -أي: الذي يجتهد في طلب الدنيا ويلهث وراءها- وعيشة الزاهد فيها سواسية.

يقول يحيى بن معاذ: "في اكتساب الدنيا ذُل النفوس، وفي اكتساب الآخرة عِزٌّ وفوز، فيا عجبًا لمَنْ يَختار المَذَلَّة بطلب ما يَفْنى ويترك العِز الذي يَبقى"

يشتمل هذا البيت على ضرب مثل لحقارة الدنيا :

كَـمْ جَـهُـول وهـو مُـثـرٍ مُـكْـثِـرٌ

أي: كم شخص جاهل وهو كثير المال، ومُثْرٍ: أي من أهل الثراء، أي: من أهل المال،

وَحَـكِـيـمٍ مَـاتَ مِـنْـهَـا بـالـعِـلَـلْ

«كَمْ» تأتي للتكثير، أي: كَم من الجهلة الذين هم أثرياء وهم من أهل وفرة المال وكثرته، وكم من حكيم عالم من أهل

التُّقى مات بالعِلَّة -أي: مات بالأمراض- في هذه الدنيا.

يشتمل هذا البيت على ضرب مثل لحقارة الدنيا :

كَمْ شُـــجَـاعٍ لم يَنَـلْ مِنْهَـا المُنَى

كَمْ). تأتي للتكثير.

(شُجَاع). هو الذي لا يهاب القتال عند التقاء الجمعان، والجبان عكسه.

(المُنَى). جمع: أُمنية، وهي ما يتمناه الإنسان.

وَجَبَــانٍ نَــالَ غَايَــاتِ الأمــلْ

وكم جبان نال غايات في هذه الدنيا، فهو يرى أن الشجاع قد يموت وهو لم يصل إلى مُبتغاه، والجبان

يصل إلى مبتغاه في هذه الدنيا، فهي دائمًا ترفع الأراذل وتضع الأعالي.

فَاتْرُكِ الحِيْلَةَ فِيْهَا وَاتَّكِلْ

إِنَّمَا الحِيْلَةُ فِي تَرْكِ الحِيَلْ

يشتمل هذا البيت على الوصية:

(فَاتْرُكِ الحِيْلَةَ فِيْهَا وَاتَّكِلْ). بما أنَّ الدنيا لا تُنال بالقوة، وإنما هي حظ مكتوب،

كتبه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فالدنيا لا تُنال بتحقيق الحيلة، ولا بمهارة الموهبة،

فالحيلة فيها هو ترك الحيلة وأن تعتمد على الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الذي خلق الناس ورزقهم

يشتمل هذا البيت على الحث على التصدق:

أيُّ كـفٍّ لـمْ تُفِـد ممــا تُـفَـد

(أيُّ كفٍّ). الكَفُّ هي الراحة من الأصابع، سُمِّيت كفًّا؛ لأنها تكفُّ الأذى عن البدن، ويكُف بها صاحبه كل ما يأتيه، والمقصود هنا اليد.

(لَمْ تُفِد). أي: لم تُعطِ (مما تُـفَـد). أي: مما تستفيد.

فَـرَمَـاهَـا اللهُ مِـنْـهـا بـالشَّـلَـلْ

(فَرَمَاهَا اللهُ مِنْها بالشَّلَلْ). أي: أن البَخِيْل الذي لا يُعطي الناس مما يستفيد، فهو لا خير فحق كفُّه الشلل، مَنْ يمنع ما أوجبه الله عليه، وما أوجبته عليه المروءة هو البَخِيْل، والبُخْل من أدوأ الداء، ولذلك قيل: البُخْل داء من أشنع الأدواء. ولذلك استعاذ منه رسول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-

يكفي البَخِيْل سوء ظنه بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ولذلك البَخِيْل لا يُرى له صديق، والناس تُبغُضه حتى البَخِيْل يبغض البَخِيْل

يشتمل هذا البيت على النهي على دعوى الجاهلية:

لَا تَقُلْ أَصْلِي وفَصْلِي أَبَداً

(لَا تَقُلْ أَصْلِي). الأصل المقصود به الآباء (وفَصْلِي). هو الذُّرِيَّة.

(لَا تَقُلْ أَصْلِي وفَصْلِي أَبَداً). أي: لا تفتخر بآبائك ولا تفتخر بأبنائك، فأصل الفتة ما قد فعل،

فالافتخار بالنَّسَب والأبناء، هذا فعل العاجزين، فأصل الإنسان ما حصَّل وما سعى فيه، وأصل الإنسان هو المكانة التي حطَّ لنفسه بين الناس، والنفع الذي جرى من يده على الناس، وما سوى ذلك فإن عِظَم الآباء وحده لا يكفي، وشرف الأبناء وحده لا يكفي.

إنَّمَا أَصْلُ الفَتى ما قد فَعَلْ

يقولون: "فلانٌ عِصامي، وفلانٌ عِظَامِي" فالعصامي هو الذي اختطَّ لنفسه طريق المشي، وبنى المجد بنفسه، وركِب الصعب وأما العِظَامِي فهو الذي يفتخر بآبائه. ولذلك في الحديث: "مَنْ أبْطأَ بِهِ عملُهُ لمْ يُسرِعْ بِهِ نَسبُهُ". النَّسَب لا يكفي لا بد من العمل عندما مثلًا ننظر إلى المحدثين أغلبهم من الموالي الإمام البخاري والإمام مسلم، حتى الأئمة الأربعة القُرشي منهم هو الشافعي، والقُرَّاء السبعة خمسة منهم موالي واثنان فقط من صريح العرب

قَدْ يَسُــودُ المرءُ من غَيْرِ أبٍ

وبِحُسْــنِ السَّــبْكِ قدْ يُنفى الزَّغَلْ

يشتمل هذا البيت على النهي على دعوى الجاهلية:

(السَّبْكِ). مَنْ سبك ذهبًا إذا أذابه ليصوغه كيف يشاء.

(الزَّغَلْ). هو ما على الذهب والفضة من الغش ويذوب، يُنفى عن أصل الذهب الناصع

، الإنسان قد يكون وضيع الآباء؛ لكن بعمله يُصان حتى يصير شريفًا، فالمرء قد يسود من غير أن يكون

آباؤه أسياد، كما أن الذهب المغشوش قد يصفو من الغش عندنا مثلًا نافع مولى ابن عمر،

هذا لا يُعرف اسم أبيه، هو سُبِي وهو صغير؛ لكن يكفيه شرفًا أنه تلميذ عبد الله بن عمر، وأنه شيخ الإمام دار

الهجرة الإمام مالك بن أنس، ولذلك الإمام البخاري اعتبره في السلسلة الذهبية لأهل الحديث،

وَكـذَا الـوردُ مـنَ الشَّـــوكِ ومَـا   يَنبُتُ النَّرجسُ إلا مِنْ بَصَـــلْ

يشتمل هذا البيت على النهي على تأكيد على الحث على العمل:

أي: أن الورد وهو معروف من الشوك، فالورد أغصانه وسيقانه مليئة بالأشواك وهو الورد، والنَّرجس وهو النبت طيِّب الرائحة الذي قيل إنه يزيد العقل إلا أن الفواكه تزيد الجسم قوة ومناعة، وأن النرجس يزيد العقل، فهذا البيت يدلل أنه لا يلزم من شرف الأصل شرف الفرع، ولا يلزم من شرف الفرع كذلك شرف الأصل، فقد يكون الأصل شريفًا والفرع وضيعًا، وقد يكون الأصل وضيعًا والفرع شريفًا.

مَعَ أَنِّي أَحْمِدُ اللهَ عَلَى نَسَبِي   إِذْ بِأَبِي بَكْرٍ اتَّصَلْ

يشتمل هذا البيت على نفي توهم أن الناظم لا حسب له :

فهو ينتسب إلى أشرف هذه الأُمَّة بعد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى أبي بكر الصديق، فهو من ذُرِّية أبي بكر بن أبي قُحَافة.

-**أبو بكر**: هو عُثمان بن قُحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك. يجتمع نسبه مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مُرَّة ابن كعب بن لؤي، وأمُّه أم الخير سَلْمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، فهو تيمي الأبوين، وهو أشرف هذه الأُمَّة بعد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو ثاني اثنين إذ هما في الغار، هو رفيق رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الهجرة الغرَّاء، وهو ضجيعه في القبة الخضراء.

وأبو بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- له ثلاثة من الولد: عبد الله وعبد الرحمن ومحمد، وله ثلاث بنات هُنَّ: أسماء بنت أبي بكر -ذات النطاقين- وعائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُا-، وأم كلثوم التي وُلِدت بعد وفاته -رَضِيَ

فيكفي من شرف الآباء شرف مَنْ انتمى إلى أبي بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فهو ينتمي إلى أبي بكر؛

لكن مع هذا يُحذِّرك من الافتخار بالآباء، مع أنه هو بإمكانه أن يفتخر بآبائه؛ لأن أبا بكر يمكن أن يُفتخر به.

قيمةُ الإنسَانِ ما يُحسِنُهُ أكْثَرَ الإنسانُ مِنْهَا أمْ أقَلْ

يشتمل هذا البيت على نفي توهم أن الناظم لا حسب له :

أي: أن قيمة الإنسان وشرفه ورفعته على قدر ما يُحسن؛ الإنسان هو عبارة عن لحم ودم وعظام، وقيمته في هذه الدنيا هي الرسالة التي يؤدي والعمل الذي يُترك، فإذا كان عمله جميلًا، ورسالته شريفة فهو من أهل الشَّرَف، إذا كان يشير مكارم الأخلاق من الناس، وكان يعمل بعلمه، فنال الفضل؛ لأن قيمته هو ما يُحسن، وإذا كان العكس فهو كذلك. وهذا البيت هو أخذه من كلام علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

"لكل شيء قيمة، وقيمة المرء ما يُحسنه".

أُكتمِ الأمْرَينِ فقراً وغِنَى

يشتمل هذا البيت على مجموعة من النصائح:

في هذا البيت يحض الناظم على كتمان الفَقْر، وكتمان الغِنَى، فالفقير عليه أن يكتم فقره فلا يُظهر الفَقْر ولا المسكنة للناس، وقد مرَّ بنا قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في وصف الفقْراء المؤمنين: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

ومما ورد في مدح الغني الشاكر الحديث المعروف: "ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ". وذلك؛ لأن فقراء المدينة شكوا إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الأثرياء يتصدقون ويُعتقون، فقال: "أَلَا أَدُلُّكُم عَلَى مَا تَصَّدَّقُونَ به؟ أمرٌ بالمَعرُوفِ صَدَقَةٌ، ونَهَيٌ عنِ المنكرِ صدقةٌ" فقال: فلما كان قال: سمع إخوانَنا من الأغنياءِ ففعلوهُ، فقال: ذلِكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَن يشاءُ".

هم أولا قالوا: "ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصلّونَ كما نُصلّي، ويَصومونَ كما نَصومُ، ويَتصدَّقونَ بفُضولِ أموالِهم، فقال: أوليس قد جعَلَ اللهُ لكم ما تَصدَّقونَ، إنّ بكلّ تَسبيحةٍ صَدَقةً، وبكلّ تَكبيرةٍ صَدَقةً".

واكسَــب الفَلْسَ وحَاسِــب مَنْ بَطَلْ

قوله: (واكسَب الفَلْسَ). هذا إشارة إلى أهمية الاكتساب أن المسلم لا بد أن يتكسب، وأن يسعى إلى تحصيل الرزق، وذلك لا ينافي التَّوَكُّل، فالتَّوَكُّل هو الأخذ بالأسباب وعدم الاعتماد عليها كما مرَّ بنا سابقًا، ولذلك الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- يقول لمريم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]. فمريم -عليها السلام- في حال الوضع وهي ضعيفة، فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- لما أراد أن يرزقها أمرها أن تتحرك «وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ» فهذا أمر بالتسبب.

وقوله: (وحَاسِب مَنْ بَطَلْ). بَطَلَ بمعنى خَسَر، فهذه حثٌّ منه على محاسبة أهل البطالة التاركين للعمل وهم قادرون عليه، فأمرهم بمحاسبته وأن يبتعد عنه، فالذي يترك العمل وهو قادر عليه جدير بأن يُحاسب وأن يُلام على ذلك.

وادَّرِع جِـدًّا وكَـدًّا واجْـتَـنِـبْ

يشتمل هذا البيت على مجموعة من النصائح:

(وادَّرِع). أي: ادرع بالشيء جعله درعًا، والدِّرع هي الآلة التي تُغطي جميع الجسد في الحرب

(جِدًّا). أي: الاجتهاد. وقوله: (وكَدًّا). أي: مثل الاجتهاد.

أي: ادَّرِع الجِدَّ والكَدَّ، ولا تكسل فالكسل لا يأتي بخير، وفي المَثَل: «مَنْ جَدَّ وَجَد ومَنْ زَرَعَ حَصَد»

صُــحْبـةَ الحَمْقَى وَأَرْبَـاب الخَلَـلْ

وقوله: (واجْتَنِبْ صُحْبةَ الحَمْقَى). الأمر الآخر هو أن تجتنب مصاحبة الحمقى، والحَمْقَى جمع: أحمق، وفي الحماقة حدَّها بعض أهل العلم بأنها قِلَّة الإصابة ووضع الشيء في غير الموضع الذي يُؤتى فيه، الأحنف بن قيس، وهو من حكماء العرب، يقول: "إني لأجالس الأحمق الساعةً، فأجِد ذلك في عقلي".

فهو يرى هنا مجالسة الحُمَقَاء تؤثر على العقل، فهو يراها جلية في عقله،

الأحمق أنه سريع الجواب ويُكثر الالتفات ويتعجل في الحكم ويُفرط في الضحك ويخالط الأشرار ويقع في الأخيار، فهي خِصال تدل على الحماقة، فعلى الإنسان أن يتجنبها. فالأحمق مَنْ صاحبه لا شك أنه سيُعْدِيه.

وقوله: (وَأَرْبَاب الخَلَلْ). الخَلَل: العيب، كل ما فيه عيب لا تصحبه؛ كالفُسَّاق والسُّرَّاق والزُّناة وما شابه ذلك، فالإنسان عليه أن يتخيَّر أصحابه، ولذلك في الحديث: "إنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، وجَلِيسِ السُّوءِ، كَحامِلِ المِسْكِ، ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ، إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتاعَ مِنْهُ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ، إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا مُنْتِنَةً".

بَـــيْنَ تَبْـــذِيرٍ وبُخـــلٍ رُتبـــةٌ | فَـكِـلَا هَـذَيْـنِ إنْ زَادَ قَـتَـلْ

يشتمل هذا البيت على النصيحة بعدم الإفراط ولا التفريط:

أي: أن بين التبذير والبُخل منزلة هي المطلوبة من الإنسان أن يكون فيها، لا يكون بخيلًا ولا يكون مبذِّرًا، وهذا مستنبط من قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. «لَمْ يُسْرِفُوا» أي: لم يكونوا مُبذِّرين، «وَلَمْ يَقْتُرُوا» أي: لم يكونوا بُخلاء.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

فمعروف أن الحسنة بين سيئتين، فالكرم المندوب المطلوب شرعًا هو بين سيئتين البُخل والتبذير؛ والتبذير هو صرف المال في غير حق شرعي، والبُخل هو إمساك المال عن الحقوق الشرعية، وأبو بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يقول: "إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد" ويقول الحكماء: "التدبير يثمر وينمي القليل، والتبذير يمحق ويدمر الكثير.

يشتمل هذا البيت على التنبيه على قضية مهمة :

لا تخُضْ فِي سَــبِّ سَــادَاتٍ مَضَــوا

أي: لا تتكلَّم في شأن مَنْ مضى، فهو يرشد إلى قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]. فالإنسان عليه ألا يخوض في سب السادات الذين مضوا.

إنَّــهُــم لَــيْسُـــوا بِــأَهْــلِ لِــلــزَّلَــلْ

قال: (إِنَّهُم لَيْسُوا بِأَهْلٍ لِلزَّلَلْ). وإن كان المعصوم هم الأنبياء فقط، إلا أن مَنْ مات يجب كف اللسان عنه، كما قال عمر بن عبد العزيز -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لمَّا سُئِل عن الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية، قال: "تلك دماء طهر الله منها سيوفنا، أفلا نطهر من أعراضهم ألسنتنا؟". فالذين مَضوا أنت لم تدركهم، ولم تقف على حقيقتهم؛ لأنك لم تشاهدهم واتركهم عنك ولا تسبهم، والمؤمن يستغفر لمَنْ سبقه من المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

يشتمل هذا البيت على التنبيه على قضية مهمة :

وَتَـغَـافَـلْ عَـنْ أُمُـورٍ إنَّـه

هو يأمر بالتغافل أن يتغافل الإنسان، أي: يُظهر أنه يتغافل، وثمَّة فرق بين الغافل والمتغافل؛ فالغافل ذمٌّ والمتغافل مدحٌ، المتغافل هو الذي يرى الأمور ويدرك حقيقتها؛ لكنه يُظهر في حالة وكأنه لم يرها، والغافل هو الذي تقع الأمور بقربه ولا يعلم بها، فالتغافل مطلوب.

لَـمْ يَفُـزْ بِـالـمَـجْـدِ إلَّا مَـنْ غَـفَـلْ

ولذلك تغافل عن كثير من المسائل فالأمور التي ليست محمودة التي تقع من الناس، فعليك أن تتغافل عنها فلم يظفر بالثناء إلا مَنْ غفل، فلا تنظر إلى عيوب الناس، إذا ظهر عيب من الناس تغافل عنه وكأنك لم تره.

يشتمل هذا البيت على ملاحظة مهمة :

لَيسَ يَخْلُو المَرْءُ مِنْ ضِــــدٍّ وإنْ

أي: الإنسان لا يخلو من عدو مهما كان ومهما حاول، فمهما حاول الإنسان لا بد أن يكون له عدو،

حَـاوَلَ الـعُـزلـةَ في رَأسِ الـجَـبَـلْ

وإن حاول الاعتزال في رأس الجبل، فلا بد لكل مخلوق من عدو ينازعه لكن الأولى هو الصبر والتسلّي.

يشتمل هذا البيت على النصيحة بالبعد عن النمام:

مِلْ عَنْ النَمَّامِ واهْجُرُهُ فَمَا

النَّمَّام هو الذي ينقل كلام الناس على وجه الإفساد، وهو مذموم؛ ولذلك "لا يدخل الجنَّة نمَّام"

وبالتالي مِلْ عنه وابتعد واهجره.

بلَّغَ المَكْرُوهَ إلَّا مَنْ نَقَلْ

فما بلَّغ المكروه إلا مَنْ نقل، ولذلك الله -سبحانه وتعالى- ذمَّه، فقال:

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١٢]

يشتمل هذا البيت على نصيحة متعلقة بالجار:

دَارِ جَـارَ السُّـــوءِ إنْ جَـارَ وإنْ

أي: لاطِف، المداراة هي الملاطفة، الجار عليك أن تداريه وأن تنير له الكلام، ولذلك الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أوصى بالجار، وأوصى به الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]. وفي الحديث: "مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ". والجار مطلوب إكرامه فعليك أن تكرمه وأن تصبر على أذاه.

لَمْ تَجِـدْ صَـبْراً فَمَـا أَحْلَى النُّقَلْ

عليك أن تكف الأذى عنه وأن تصبر على أذاه، فإن لم تجد صبراً، إذا لم تستطع أن تصبر على أذى جارك لا تؤذه وانتقل عنه،

يقول الحسن البصري -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: «لَيْسَ حُسْنُ الْجَوارِ كَفَّ الْأَذى وَ لكِنَّ حُسْنَ الْجَوارِ الصَّبْرُ عَلَى الْاَذى»

يشتمل هذا البيت على نصيحة بعدم الإصطدام بالسلطان:

جانِبِ السُّلطانَ واحذرْ بطشَهُ

قوله: (جانِبِ السُّلطانَ واحذرْ بطشَهُ). هو يأمر بمجانبة السلاطين، وجانبت الشيء إذا جعلته جنبًا،

أي: تركته إلى جنب، فهو يأمر بترك السلطان، وأنك تجتنب كذلك بطشه، فالسلطان كثير الغضب.

لا تُعانِدْ مَنْ إذا قالَ فَعَلْ

(لا تُعانِدْ مَنْ إذا قالَ فَعَلْ). ويأمرك بعدم معاندته والمعاندة، هي المخاصمة والمشادة،

فينبغي للناس وخاصةً العالم أن يبتعد عن السلاطين إلا لضرورة ماسَّة وحاجة مُلِحَّة.

ولذلك رُوِي عن ابن مسعود -رَضِيَ الله عَنْهُ- أنه قال: "إنَّ الرجل ليَدخُل عَلَى ذِي سُلطَان وَمَعه دِيْنه، فيَخْرُج وليس مَعَه دِيْنه، قِيل: كيف ذلك؟ قال: يُرضيه بِمَا يُسْخِط الله". أي: العالم يدخل على السلطان ومعه دينه، فهو يخشى الله ويخاف منه، فإذا تكلَّم السلطان وافقه السلطان على ما قال من المسائل التي تغضب الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- فيخرج وليس معه دينه.

ويقول ابن عِيَاض: "اجْتَنِبوا أبْواب المُلوك، فإنَّكم لَا تُصِيبُوْن مِنْ دُنْيَاهِم شَيْئًا إلَّا أَصَابُوا مِنْ آخِرَتكُم مَا هُو أَفْضَل مِنْه". وقديمًا قال بعض العلماء: إنَّ العالِم إذا أكَلَ مِنْ مَالِ ذي سُلْطَان احْتَرق لِسَانه عن قَوْل الحَق".

يشتمل هذا البيت على نصيحة بالبعد عن الإمارة أو القضاء:

لا تَلِ الحُكْم وإنْ هُمْ سَألُوا

(لا تَلِ الحُكْم). أي: أنك لا تلي الحكم بين الناس،

رغبةً فيكَ وخالفْ مَنْ عَزَل

ولو سألوك أن تحكم بينهم رغبة فيك، ومَنْ لامك على ذلك فلا تُطعه بل خالف.

فولاية الأحكام مسؤولية عظيمة وأمانة لا يتحملها بعض أبناء الناس، ولذلك أبو ذر -رَضِيَ الله عَنْهُ-

لمَّا سأل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "يا أبا ذَر، إنك ضعيف وإنَّها أمَانة، وإنَّها يوْم القِيامة خزيٌ

وندامة". وقال الحكماء: "مَنْ وَلِيَ القضاء فقد ذُبِح بغير سِكِّينٍ". كأنه ذبح نفسه لكن لا بسكين.

يشتمل هذا البيت على نصيحة بالبعد عن الإمارة أو القضاء:

إنَّ نِصْـــفَ الـنَّـاسِ أعْـداءٌ لـمَـنْ

أي: هم يقولون إن الحاكم العادل يُعاديه نصف الناس، والحاكم غير العادل، يعاديه كل الناس حتى أقرب الأقربين منه، حتى المُقرَّبين يُعادونه

وِلِـيَ الأحْـكَـامَ هَـذَا إنْ عَـدَلْ

لا تلِ الأحكام لأن نصف الناس أعداء لك إذا كنت عادلًا، أما إذا لم تكن عادلًا فإن كل الناس، يكونون أعداءً لك.

والعدل في الأحكام به قوام الدنيا والدين، وسبب إصلاح المخلوقين، ولذلك نوّه الله –سُبْحَانَه وَتَعَالَىَ– به في القرآن أكثر من مرة وأمر به: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]. ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. فهو من أعظم الأمور أجرًا ومن أصعبها، فبه تستقيم الدول، فمعروف أن الدولة تستقيم على الكفر ولا تستقيم على الظلم. التاريخ احتفظ للذين طبَّقوا العدل فيه بذكر حسن، كالخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وثاني الخلفاء عُمر بن الخطاب، والخلفاء الراشدون الأربعة كلهم، وكذلك يحتفظ بالحقارة والدناءة للذين لم يعدلوا في أمورهم ولم يطبقوا شرع الله.

يشتمل هذا البيت على الترهيب من الحكم بالظلم بين الناس :

فَهُو كَالمَحْبُوسِ عَنْ لَذَّاتهِ

كالمحبوس عن شهواته، فهو لا يمكن أن يأكل ولا أن يشرب ولا أن يذهب إلى أي مكان إلا بإذن حُراسه وحشده، فهم الذين ينظِّمون له أوقاته. لا يستطيع أن يسير وحده، ولا أن يذهب وحده، ولا أن يزور مَنْ شاء في أي وقت إن شاء، ولا أن يفعل ما شاء في أي وقت شاء، بل لا بد من البروتوكول لا بد من الحراس والذين ينظِّمون له أوقاته وينظمون له أمره.

وكِلَا كفَّيْه فِي الحَشْر تُغَلْ

وقوله: (وكِلَا كفَّيْه فِي الحَشْر تُغَلْ). هذا حكم على الحاكم غير العادل، الحاكم غير العادل يأتي يوم القيامة مغلول؛ لأن الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]. تُغلُّ، أي: تُجمع في عنقه بطوق من حديد، وهذا طبعًا في الحاكم غير العادل، أما الحاكم العادل فهو الذي يُظلُّه الله بظلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه.

يشتمل هذا البيت على التأكيد على عظم القضاء:

إنَّ لـلـنَـقْـصِ والاسْــــتِـثْـقَـالِ فِي

فأولًا نفَّر منه بأنه كالمحبوس وأنه يأتي يوم القيامة مغلولًا، ثم جاء التنفير الثاني وهو تنفير لُغَوي أن لفظة القاضي منقوصة؛

لأن آخرها ياء، ومعروف أن المنقوص يُقدَّر عليه الرفع والجر ويظهر عليه النصب، فهي ثقيلة على اللسان وقد امتنع كثير

من العلماء من تولِّي منصب القضاء لما فيه من الظلم ولما فيه من الجور؛ لأن الإنسان بطبيعته ضعيف، الذين يثبتون أمام الفتن قِلَّة

ولذلك ينبغي للإنسان أن يهرب من الفتن.

(إنَّ للنَقْصِ). النقص، هو أن يكون آخر الكلمة ياء مثل: الرامي أو الداعي أو القاضي، ويُقدَّر على الإعراب، وكذلك (الاسْتِثْقَالِ)

لَفْظَـةِ القَـاضِــي لَـوَعْـظـًا أو مَـثَـلْ

(لَوَعْظًا). أي: يدَّعي له به صاحبه ومَثَل، وكأن الاسم هنا يُطابق المسمَّى، فهو ناقص.

ومن الذين امتنعوا من القضاء الإمام أبي حنيفة النُّعْمَان بن زُوطَى -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-

يشتمل هذا البيت على التأكيد على عظم القضاء:

لا تُساوى لذَّةُ الحُكمِ بِمَا

أي: أن ما في الحُكم من اللذّة سواء كانت لذّة مادية أو لذّة معنوية أنه لا يساوي

ذَاقَهُ الشَّخْصُ إذَا الشَّخْصُ انْعَزَلْ

ما يذوقه الشخص من المرارة، ومن العذاب عندما يسمع أنه معزول.

يشتمل هذا البيت على التأكيد عن أهمية البعد عن الإمارة:

فَالوِلَايَاتُ وَإنْ طَابَتْ لِمَنْ

الولاية مع ما فيها من الطيب، ومع ما فيها من اللَّذة،

ذَاقَها فَالسُّمُّ فِي ذَاكَ العَسَلْ

تُشبه العسل الذي فيه السُّم، فالعسل معروف أنه من ألذ المطعومات وأحلاها؛ وكذلك الولايات، والولايات هي تقتل،

فيها لذَّة وفيها مكانة لكنها كالعسل الذي يحمل السُّم، فهي بمثابة السُّم الذي يكون في العسل، لما يخالط لذَّتها غالبًا

من الظلم وعدم العدل، والتكبر على الناس، فدائمًا الحُكَّام جُبِلوا على التجبُّل وعلى الظُّلم وعلى التكبُّر على الناس وظلمهم.

يشتمل هذا البيت على إظهار مشقة عمل القضاء:

نَصَـــبُ المنصِـــبِ أوْهَى جَسَـــدي

(نَصَبُ). بفتح النون هو التعب. (المنصِبِ). هو العلو والرفعة. (أوْهَى). أي: أضعف.

أي: أن تعب المناصب أضعف جسده، وأضعفت كذلك جسمه العناء من مداراة الأراذل،

وعَـنَـائِـي مِـنْ مُـدَاراةِ السَّـــفَـلْ

(وعَنَائِي). أي: تعبي. (مُدَاراةِ). أي: ملاطفة وملاينة. (السَّفَلْ). أي: الأراذل.

سُئِل معاوية -رَضِيَ الله عَنْهُ- عن السَّفلَة، فقال: "هُم الذين ليس لهم فعلٌ موصوفٌ ولا نسبٌ معروفٌ". وقال الأصمعي:

"السَّفَلَة الذين لا يُبالون بما قالوا أو ما قيل لهم". الشخص الذي لا يُبالي بما قال أو بما قيل له.

يشتمل هذا البيت على النصيحة بتقصير الأمل:

قَصِّــــرِ الآمـالَ في الـدُّنـيـا تـفُـزْ

(قَصِّرِ الآمالَ في الدُّنيا). أي: أن الإنسان لا بد أن يُقصِّر أمله في هذه الدنيا، ومَنْ قَصُر أمله قلّ همُّه وتنوَّر قلبه؛ كأنه استحضر الموت اجتهد في الطاعة ورضي بالقليل،

فـدليـلُ الـعـقـلِ تـقـصــيـرُ الأمـلْ

فتقصير الأمل يدل على كمال العقل،ولذلك في الحديث: " الكَيِّسُ من دَانَ نفسه، وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجزُ مَنْ أتْبَعَ نفسه هواها وَتَمَنَّى على الله".

مَنْ اتبع نفسه وهواه هذا عمل الذي لا يُقصِّر الأمد، الإنسان عليه أن يُقصِّر الأمل فذلك دليل على إعمال عقله ودليل على كيسه.

يشتمل هذا البيت على التذكير بالموت:

إنَّ مَنْ يَطْلُبُهُ الموتُ عَلَى

الذي يطلبه الموت على غِرَّة -أي: على غفلة-

غِرَّةٍ مِنْه جَدِيْرٌ بِالوَجَلْ

جدير بالوَجَل -أي: بالخوف-. فالذي يطلبه الموت وهو غفلان جدير بأن يخاف.

الغِرَّة -بكسر الغين المعجمة-: الغَفْلَة، يُقال: "الغِرَّة: الغَفْلَة،

والغُرَّة -بضم العين- هي البياض في وجه الفرس"، وتُقال كذلك لأول الشهر، غُرَّة الشهر أوله،

يشتمل هذا البيت على نصيحة في آداب الزيارة:

غِـــبْ وزُرْ غِبًّـــاَ تـــزِدْ حُبًّـــا

(غِبْ). من الغيبة، فعل أمر من الغيبة، أي: ابتعد عن الناس كالغائب عنهم. (وزُرْ). فعل أمر من الزيارة.

(غِبًّا). أي: يومًا بعد يوم، أي لا توالي الزيارة، لا تزر أخاك يومًا وتزره اليوم الموالي.

فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادَ أَضْـــنَاه المَلَلْ

(فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادَ أَضْناه). أي: أمرضه. (المَلَلْ). أي: السآمة والضجر.

هذا البيت أخذه من الحديث: "زُر غِبًّا تزدَد حُبًّا". أي: أن الإنسان عليه أن يزور أصدقاءه؛ لكن لا يوالي الزيارة؛ لأن في توالي الزيارة إجحاف بهم وقد يصيبهم بالملل، فالاقتصاد في زيارة الناس أمر مطلوب، فالإفراط فيها ممل والتفريط مُخِلٌّ؛ ولذلك يقولون في المَثَل: "قِلَّة الزيارة أمان من المَلَال، وكثرة التعاهد سبب التباعد".

لكن الزيارة لها آداب لا بد أن يتحلى بها، منها مراعاة حال المَزُوْر، أن المَزُوْر قد يَود أن تمكث معه طويلًا، وقد يتأذى بمُكثك معه، فعليك أن تتحسس أحواله، وأن تزوره حسب يبغي هو.

"وَمَنْ زَارَ أخًا له في الله، نُودي طِبتَ وطابَ ممشاكَ، وتَبوَّأتَ من الجنَّةِ منزلًا".

يشتمل هذا البيت على التنبيه على وجه أفضلية العبد:

خُذْ بحَدِّ السَّيفِ واتْركْ غِمدهُ

(غِمدهُ). غِمْد السيف: جِرابه

وهو يُرشد إلى أخذ الأمور بقُوَّة، أنك إذا أردت أن تضرب، فاضرب بحدِّ السيف، ولا تضرب بغِمده،

وهذا مأخوذ من قوله تعالى-: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّة﴾ [مريم: ١٢]. فالإنسان عليه أن يأخذ الأمور بقُوَّة

وبجِدٍّ واجتهاد، وألا يأخذها بالكسل.

واعْتَبِرْ فَضْـــلَ الفَتَى دُونَ الحُلُـلْ

(الحُلُلْ). جمع: حُلَّة.

وقوله: (واعْتَبِرْ فَضْلَ الفَتَى). أي: لا تحتقر الفضل إذا فقيرًا، فقد يظهر الفتى في ثوب لا يُناسب مكانته

الإنسان قد يظهر في ثوب لا يُناسب مكانته، فعليك أن تعتبر فضله، ولا أن تعتبر الهيئة التي ظهر بها، فكثيرًا ما

يؤدي باعتبار الهيئة إلى أن تغمط الناس حقها.

فعليك أن تعتني بجوهر الناس ولا أن تنظر إلى مظهرهم.

لا يَضُــرُّ الـفَضْـــلَ إقَـلالٌ كَـمَـا

لا يَضـــرُّ الشَّـــمسَ إطْبَـاقُ الطَّفَـلْ

يشتمل هذا البيت على التنبيه على فضل العلم على أهله:

أي أن أهل الفضل والعلم لا يضرهم الإقلال، لا يضرهم الفقر، كما أن إطباق الشمس لا يضر الشمس، كون الشمس آذنت بالغروب هذا لا يضرها، الشمس ستبقى شمس، وكذلك أهل الفضل لا يضرهم الفقر ولا يضرهم سوء الحال، بل سيظل أهل العلم والأدب أهل العلم والأدب.

(الطَّفَلْ). هو آخر النهار.

يشتمل هذا البيت على الحث على عدم التعلق بالأوطان:

حُـبُّـكَ الأَوْطَـانَ عَـجْـزٌ ظَـاهِـرٌ

فالتعلُّق بالأوطان عجزٌ، فهو يدعو إلى الغُربة، وإلى أن يغترب الإنسان إما لطلب العِلم أو طلب المال.

وقد اغترب سيدنا موسى -عليه السلام- لطلب العلم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]. إلى أن لَقِيَ العبد الصالح الذي قال الله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

وقد هجر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى المدينة وترك وطنه الأصلي مكة جهادًا في سبيل الله، وإعلاء لكلمة الله مع ولعه وحُبِّه لمكة، ولذلك لمَّا أتاه أُصَيْل بعد ذلك وكان يصف مكة لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "شوَّقتنا إلى مكة يا أُصَيْل".

فَـاغْتَرِبْ تَلْـقَ عَـنْ الأَهْـلِ بَـدَلْ

الغُربة التي لطلب المعالي، ففيها الكثير من الفوائد، فالذُّل في الإقامة، والعِز في الارتحال.

يشتمل هذا البيت تمثيل للبيت السابق:

فبِمُكْثِ المَاءِ يَبْقَى آسِنًا

هذا ضرب مثال على أن في الغُربة رِفعة وشأنًا، فالماء الذي يبقى في مكانه يكون آسنًا،

فالذي يبقى في مكانه مثل الماء الذي يبقى في مكانه

فيكون آسنًا ضعيف الهِمَّة، فاتر العزيمة،

وسُرَى البَدْرِ بِهِ البدرُ اكْتَمَلْ

والماء الذي يجري يكون طيِّبًا، والبدر يكتمل بسُراه، وسُرى البدر به اكتمل

والذي يُسافر يلقى الناس ويرى العلاقات ويرى هذه الدنيا، ولذلك

الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- أرشدنا إلى السفر ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤٦]. في أكثر من آية.

يشتمل هذا البيت على توبيخ لمن يعيب النصائح السابقة:

أَيُّـهَـا الـعَـائِـبُ قَـوْلِـي عَـابِـثًـا

(أَيُّهَا العَائِبُ). اسم فاعل من «عَابَ الشيء يعيبه».

(قَوْلِي عَابِثًا). أي: بسبب العَبَث لا للنصح.

إنَّ طِـيْـبَ الـوَرْدِ مُـؤْذٍ لـلـجُـعَـلْ

وقوله: (إنَّ طِيْبَ الوَرْدِ مُؤْذٍ للجُعَلْ). الجُعَل، هو دُوَيْبَة معروفة تعيش في القاذورات، تعيش في النجاسة، وتتأذى بالريح الطيبة.

فهو يرى أن الذين يعيبون كلامه ونظمه أنهم بمثابة الجُعَل، فنظمه طيب الرائحة، وهم كالجُعَل والجُعَل يتأذى بالريح الطيبة، هذا طبعًا الذين يُعيبون كلامه على سبيل العَبَث والنقد لا على سبيل النصح والإرشاد فذلك مطلوب ومأمور به.

يشتمل هذا البيت تحذير للعائب على النصائح :

عَـدِّ عَنْ أَشْــهُمِ لُفْظِي واســتتِرْ

(عَدِّ). بفتح العين، أي: اترك؛ عدِّ عن الشيء اتركه،

(عَنْ أَشْهُمِ لُفْظِي). أي: اترك ودعها عنك.

(واستتِرْ). أي: اجعل بينك وبينها سِترًا.

لا يُصِــيْبَنَّـكَ سَــهْـمٌ مِـنْ ثُـعَـلْ

(لا يُصِيْبَنَّكَ سَهْمٌ مِنْ ثُعَلْ). الثُّعَل: أبو قبيلة من قبائل العرب عُرِفت بإصابة الرمي

فهو يتوعد من عاب نظمه وقوله، فعليه أن يترك كلامه وأن يستتر عن سهامه فهي مصيبة كإصابة سهام بني ثُعَل.

يشتمل هذا البيت
على تحذير آخر:

لا يَغُرَّنَّكَ لِيْنٌ مِنْ فَتَىً

(لا يغُرَّنَّكَ). أي: لا تغتر بلطافة الخصم ولينه، فالحيَّة ليّنة المس؛ لكنها تحمل السُّم

فلا يغُرَّنك إذا كان الخصم لين الكلام لطيفه، فهو مثل الحيَّة، والحيَّة ليّنة اللمس لكنها تحمل السُّم

إنَّ لِلْحَيَّاتِ لِيْنًا يُعْتَزَلْ

والحيَّة ليّنة اللمس لكنها تحمل السُّم فمن لمسها لذعته وقد يصل إلى الموت.

ولذلك قال: (إنَّ لِلْحَيَّاتِ لِينًا يُعْتَزَلْ). أي يعتزل عنه الناس.

يشتمل هذا البيت على عدم الإستهانة بالفتى الصالح:

أَنَا مِثْلُ المَاءِ سَهْلٌ سَائِغٌ

أي: هو بمثابة الماء، الماء سهل سائغ في الفم؛

وإذا سَخُنَ آذَى وقَتَلْ

لكنه إذا سَخُنَ يؤذي الناس بل قد يقتلهم،

فهو يشبِّه نفسه بالماء، فهو سهل سائغ؛ لكنه إذا أُوذي تغيَّر طبعه كما يتغيَّر حال الماء إذا سَخُن بالنار،

فيتحول من مادة سائغة للشاربين إلى مادة قاتلة.

يشتمل هذا البيت على وصف الفتى الصالح:

أَنَا كَالخَيْزُورِ صَعْبٌ كَسْرُهُ

(أنا كَالخَيْزُورِ). وفي بعض النسخ «كالخَيْزُورَان» لكن لا يستقيم الوزن،

أي: الشجر ليِّن الأعواد لكن لا يُكسر

وَهُو لَيْنٌ كَيْفَ مَا شِئْتَ انْفَتَلْ

أي: أنه يُشبه الخَيْزُوران ليِّن كيف ما شئت فتلته،

وانفتل من الفَتْل، أي: الإبرام؛ لكنه لا يمكن للشخص أن يكسره،

فإن كان ليِّنًا إلا أنه يصعُب كسره.

يشتمل هذا البيت على رثاء لحاله :

غَيْـرَ أَنِّـي فِـي زَمَـانٍ مَـنْ يَكُـنْ
فِيْه ذَا مَالٍ هُو المَوْلَى الأَجَلّ

يقول -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- إنه عاش في زمن المهم فيه أهل المال، والمقدَّس فيه أهل المال.

وَاجِـبٌ عِـنْدَ الـوَرَى إِكْـرَامُـهُ
وَقَلِيْلُ المَالِ فِيْهِمْ يُسْـتَقَلْ

أي: أنه عاش في زمن أهله يُقدِّسون صاحب المال ويحترمونه وقليل المال لا قيمة له عنده،

حتى ولو كان من أشرف الناس ومن أعلمهم.

يشتمل هذا البيت على نصيحة ختامية:

كلُّ أَهْلِ العَصْـــرِ غُمْرٌ وَأَنَا مِنْهُمُ

(كلّ أهْلِ العَصْرِ). أي: أن كل أهل عصره غمرٌ.

(غُمْرٌ). بضم الغين: الجاهل،

الغَمْر: الماء، يقول: غَمَرَ الماء، غطَّاه. فهو حكم على أهل عصره بأنهم أغْمَار، أي أنهم قليلو التجربة،

وأن هو منهم، فهو من بني زمانه.

فَاتْرُكْ تَفَاصِــيْلَ الجُمَلِ

أي: اترك التفاصيل، المهم أن تعرف الأمور الكليَّة،


الحمد لله رب العالمين